الخليج العربي العدد 9 1978
مجلة علمية يصدرها مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة / الجمهورية العراقية

الحلاج : صوفي عاش في البصرة جوانب من حياته السياسية

الدكتور محمد سعيد رضا
جامعة البصرة

عصر الحلاج

عاصر الحلاج طوال حياته حالة الضعف والوهن التي اعترت اجهزة الدولة العباسية ومؤسساتها اثر تسلط القادة الاتراك على تدبير امورها والتدخل في اختيار خلفاء ضعفاء جعلوا منهم العوبة بأيديهم ليس لمعظمهم شيء(١) سوى اصدار المراسيم الرسمية والانغماس بامورهم الخاصة(٢) وكثيرا ما تعرض الخلفاء الى انتهاك سلطاتهم بل الى القتل على ايدي الاتراك . فعطلت بذلك الدواوين وشلت صلاحيات الوزير باعتباره ظهيرا للخليفة في ادارة شؤون الدولة ورئيسا لمؤسساتها(٣) . وتحفز الطامعون للتنافس على المناصب العليا والدنيا في الدولة ، فحيكت المؤامرات وكثرت الاغتيالات وشاع تعاطي الرشاوى والمساومات التي افسدت الجهاز الاداري للدولة(٤) واخضعت رجاله لشهوات اصحاب المصالح والاموال ولا ادل على ذلك من خنوع الوزير ابي الحسن ابن الفرات لتهديدات أبي عبد الله الجصاص مليونير عصره ، حين هدده ببذل الفي الف دينار للخليفة رشوة لقاء عزله وتولية احد خواصه عندما تلكأ الوزير في تحقيق مصالحه(٥) .

(١) الطبري . تاريخ الرسل والملوك ١٤٥٦/١٢ ، ١٥٠٢ ، ابن الاثير . الكامل دار صادر بيروت ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م ٩٨/٧ ، ابن الطباطبا . الفخري في الاداب السلطانية ـ طبعة مصر ١٣٨١هـ ص٢٢٠ ، مجهول . تاريخ الانبياء وملوك الاسلام مخطوط ـ مكتبة الاثار ـ بغداد رقم ١٨٨٥م ص٨٢ .

(٢) الصولي . الاوراق نشر هيورت دن . طبع القاهرة ١٩٣٥م ص٤٣ ، ابن الطباطبا . الفخري في الاداب السلطانية ص٢١١ ، ابن الاثير . الكامل ٤٥٥/٧ ، ١٥/٨ ، ابو الفدا . المختصر في اخبار البشر دار الكتاب اللبناني ـ بيروت م١ ج٣ ص٧١ ، ١٠٠ المقريزي : السلوك لمعرفة دول الملوك مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٣٤م ١٨/١ .

(٣) مسكويه . تجارب الامم المطبعة المحمدية ـ مصر ١٣٣٣ هـ ـ ١٩١٥م ٢٥٢/١ .

(٤) المصدر نفسه ٥٨/١ ، ٥٩ ، ٨٦ الصابي . الوزراء تحقيق عبدالستار احمد فراج ـ دار احياء الكتب العربية ـ القاهرة ١٩٥٨م ص٢٩ ، ٣٣ ، ٤٤ ، ٧٣ ، ١٥٥ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ الصولي . الاوراق ص٤ ، ابن الاثير الكامل ١٣٩/٨ ، ٢٣٨ ، الذهبي . تاريخ الاسلام ـ مخطوط مكتبة الاثار بغداد ١٦٥٨ ص٤٥ .

(٥) التنوخي . نشوار المحاضرة تحقيق عبود الشالجي ـ بيروت ١٣٩١هـ ـ ١٩٧١م ٣٣/١

كما أصبحت الوزارة مسخرة عندما تقلدها حامد بن العباس ـ محصل الضرائب ـ المجاهد في اقناع الخليفة بقتل الحلاج(٦) .

وعلى كل حال فقد تدهورت مؤسسات الدولة في عهد المقتدر الى حد خطير وتحكم الخدم والحرم في شؤونها وبذلك يقول ابن الطباطبا « ان دولة المقتدر كانت دولة ذات تخليط كثير لصغر سنه ولاستيلاء امه ونسائه وخدمه عليه ، فكانت دولته تدور امورها على تدبير النساء والخدم وهو مشغول بلذته .. »(٧) وقال عنه المسعودي « لا يوصف بتدبير ولا سياسة وغلب على الامر النساء والخدم وغيرهم .. وادى ذلك الى سفك دمه واضطربت الامور بعده وزال كثير من رسوم الخلافة »(٨) وسرى هذا الانحلال الى القضاء ايضا فقد ذكر ابن عياش انه (كان اول ما انحل من نظام سياسة الملك فيما شاهدناه القضاء (٩)) وازاء هذا الاضطراب السياسي فقد اغفلت الحقوق الاساسية للجموع الغفيرة من المجتمع التي كانت تقاسي الكثير من متاعب الحكومة وجور القلة المهيمنة على مؤسساتها حتى قيل « ان الوزراء وارباب الولايات لا يقومون باشغال الرعايا والتعب معهم الا لمرفق يحصل لهم فاذا منعوا تلك المرافق تركوا الناس يضطربون ولا يجدون من يأخذ باياديهم ولا تقضى حوائجهم »(١٠) ورافق ذلك ارتفاع في الضرائب الحكومية لمواجهة الانفاق المتزايد وملء الخزينة الخاوية لاسيما وان تلك الضرائب كانت تجبى باسلوب قاس(١١) من قبل الجباة وضمان الاراضي الزراعية وابرزهم في عصر المقتدر هو حامد بن العباس الضامن(١٢) الذي كثيرا ما عرض البلاد الى ازمات اقتصادية خانقة مهلكة تميزت بغلاء الاسعار وحجب المواد الغذائية عن الاسواق خدمة لمصالحه الانانية وكسبا للربح الفاحش . ذاق مرارتها الغالبية العظمى من الشعب . وانتعشت بها فئة غنية مترفة ، احتكرت اتعاب الجياع واكتنزت الذهب والفضة(١٣) .

ومجمل القول ان بغداد في عصر المقتدر كانت تعيش في حالة احوج ما تكون الى حركة اصلاح جذرية تضع حدا للتكتلات العسكرية التركية المغامرة المثيرة للفتن والقلاقل وللاحزاب المعادية السياسية والعنصرية والدينية المتربصة بالخلافة الدوائر والمثيرة للشغب والقتال في الطرقات والمساجد ، وللفئات الغنية الجشعة ولجماعات البلاط التي كانت تهيمن عليها الجواري والاماء .

ففي تلك الاوضاع المتردية شب الحلاج ملازما الفقراء في حله وترحاله . ومستلهما من ممارساته الصوفية وذكائه الوقاد الشعور بضرورة الاصلاح والتغيير الجذري لواقع المجتمع وفق منطوق الاسلام العادل .

نشأة الحلاج

هو الحسين بن منصور بن محمي البيضاوي يكنى ابا المغيث (١٤) ، وقيل ابا عبدالله(١٥) وابا محمد(١٦) . جده مجوسي من اهل فارس(١٧) .

---

(٦) مسكويه . تجارب الامم ٥٩/١

(٧) ابن الطباطبا . الفخري في الاداب السلطانية ص٢١١

(٨) التنبيه والاشراف طبعة الاوفست ـ مكتبة المثنى ببغداد عن طبعة سنة ١٣٥٧هـ ـ ١٩٣٨م ص٣٢٨

(٩) ابن الجوزي . المنتظم الطبعة الاولى ـ الدكن ـ حيدر آباد ١٣٥٧هـ ١٩٠/٦

(١٠) ابن الاثير . الكامل ٢٢٦/٨ .

(١١) الصابي . الوزراء ٢٢٨ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٦٨ ، الطبري. تاريخ الرسل والملوك ٤٠٨/٩ ، ابن خلدون . العبر ٣٠٨/١ التنوخي . نشوار المحاضرة ٤٢/٢ ، ٩٢/٨ ، الفرج بعد الشدة ٥٧/١ ، ادم متز . الحضارة الاسلامية ص٢٥٠ ، الدوري . دراسات في العصور العباسية المتاخرة مطبعة السريان بغداد ١٩٤٥م ص٤

(١٢) ابن الجوزي . المنتظم ٢٤/٦ ، ١٥٩ ، ١٨٠ ، يقول ابن الاثير في حوادث ٣٠٧هـ في هذه السنة ضمن حامد ابن العباس اعمال الخراج والضياع الخاصة والعامة والمستحدثة والفراتية بسواد بغداد والكوفة وواسط والبصرة واصبهان الكامل ١٢٦/٦

(١٣) تاريخ الرسل والملوك ١٥٤٥/١٢ ، ١٧١٩/١٣ ، الصابي. الوزراء ص١٥١ ، ٢٠٠ ، التنوخي . نشوار المحاضرة ٢٥/١ ، ٢٧ ، غرس النعمة ، الهفوات النادرة ص٢٨٧ ، ابن الاثير . الكامل ٧ ص٢٠٠ ، ابن خلكان وفيات الاعيان تحقيق محمد محي‌الدين عبدالحميد ـ مطبعة السعادة ـ مصر ١٣٦٧هـ ـ ١٩٤٨م ٥٢٠/١ ، ابو الفداء . مختصر في اخبار البشر ١م ٣ح ص٥٩ .

(١٤) الخطيب البغدادي . تاريخ بغداد ـ طبعة دمشق ١٩٤٥ ١١٢/٨ ، ابن طباطبا الفخري السلطانية ص٢٠٩ وكتابه الطواسين يحمل اسمه ولقبه البغدادي اضافة الى لقبه الشائع البيضاوي .

(١٥) الاصطخري . مسالك الممالك ص٩٠ ، العيني ، عقد الجمان . مخطوط دار الكتب المصرية ١٥٨٤ت ق٢ ح١٥ ورقة ٢٤٢ .

(١٦) الطبري . تاريخ الرسل والملوك ٢٢٨٩/١٣

(١٧) الخطيب البغدادي . تاريخ بغداد ١١٢/٨

وقد ولد الحسين في قرية الطور(١٨) في الشمال الشرقي من بلدة البيضاء(١٩) في مقاطعة فارس بايران سنة ٢٤٤هـ ـ ٨٥٧م(٢٠) .

دخل مع ابيه العراق عن طريق البصرة(٢١) واستقرت اسرته في واسط التي كان يمتهن فيها حلج القطن ومنه سمي الحسين بالحلاج(٢٢) .

تعلم الحلاج في كتاتيب واسط وقد نسي فيها لغته الفارسية العامية(٢٣) وتأثر باحداث العصر ثم قصد سنة ٢٦١هـ ـ ٨٧٢م مدينة تستر الايرانية الواقعة على نهر الكارون الذي يصب في شط العرب . وقد صحب فيها شيخ الصوفية سهل بن عبدالله التستري(٢٤) .ثم رجع بعد سنتين الى البصرة حيث لازم عمرو بن عثمان المكي الصوفي البارز لمدة من الزمن وقد نال اعجاب شيخه المكي حيث توقع له مستقبلا زاهراً في عالم الروح(٢٥) لكن زواجه بام الحسين بنت ابي يعقوب الاقطع البصري منافس المكي على زعامة الصوفية في البصرة اثار حفيظة شيخه عليه(٢٦) الا ان هذا الزواج الموفق بديمومته وانجابه اربعة ابناء قد جعل الحلاج يقيم في البصرة في حي تميم من قبيلة بني مجاشع(٢٧) حتى أن الحلاج عندما سؤل عن اصله قال. « من بيضاء فارس الا انني ربيت بالبصرة »(٢٨) وكان الحلاج طوال هذه المدة يعتزل في جامع البصرة (يتعبد ويتصوف ويقرىء . والصوفية تدعى له المعجزات من طرائق التصوف وما يسمونه مغوثات ..) (٢٩) وقد ترك الحلاج البصرة تحت وطأة الظروف القاسية التي كانت تحياها تلك المدينة ، قاصدا مكة ومكث بها سنة كاملة مارس فيها أشق الرياضات الصوفية بتعريض جسده لاشد انواع العذاب الجسماني حيث اقتصر في شربه واكله على اليسير من الماء والخبز . وقضى أيامه جالسا على صخرة تحت اشعة الشمس المحرقة حافيا ومكشوف الرأس والعرق يجري منه الى الارض على جبل ابي قبيس في مكة ، وقد رآه على هذه الحالة وهو يتصبر شيخ الصوفية بمكة ابو عبدالله المغربي الذي لم يرض بذلك النوع من التصبر(٣٠) وبعد عودته من مكة بدا للناس في صورة شيخ واثق من نفسه مستقل في عمله غير

---

(١٨) المصدر نفسه والصفحة ، جعل (G. Ahlbert) ولادته في طوس .راجع
Al - Hallaj - tow Moslum saints and Mystics, in the Moslem World. Vol. 15, 1925 P. 59.

(١٩) البيضاء . بلدة تمثل معسكرا صغيرا على الطريق الحربي الممتد من البصرة الى خراسان يقيم به موال لبني الحارث يمنيون . راجع ماسنيون . شخصيات قلقه ـ ترجمة عبدالرحمن بدوي ص٦٣ ، انتسب اليها ساكنوها وتخرج منها متصوفة كثيرون امثال ابو نصر ابن القاسم البيضاوي ، وابن فيروز البيضاوي ، وموسى ابن ابي ذر البيضاوي . واحمد بن ابي الفتح بن عاصم البيضاوي وكلهم نقلوا عن الحلاج (راجع علي بن انجب الساعي (ت٦٧٤هـ) . اخبار الحلاج ـ نشر وتصحيح وتعليق ماسنيون ـ مطبعة القلم ـ باريس ١٩٣٦م ص٢٩، ٣٣ ، ٤٦ ، ٧٣ ، ويقول ابن النديم (لقد اختلف في بلده ومنشاه فقيل انه من خراسان من نيسابور وقيل من مرو وقيل من الطالقان وقال بعض اصحابه انه من الري وقال اخرون من الجبال) الفهرست ـ طبعة الاوفست ـ المثنى ببغداد ص١٩٠ .

(٢٠) L. Massignon. L. G: Al - Hallaj. in Ency. of Islam Vol. 3 London 1971 P. 99.

وراجع ماسنيون . شخصيات قلقه ترجمة عبدالرحمن بدوي ط٢ مصر ١٩٦١ ص٦٣ الشيبي . ديوان الحلاج ـ بيروت ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م الطبعة الاولى . ص١٩ ، يبدو ان تاريخ ولادته غير معروفة وان في كتاب اخبار الحلاج لابن انجب الساعي ما يؤكد ذلك لانه اذا كانت ولادته سنة ٢٤٤هـ لحين وفاته ٣٠٩هـ تساوي ٦٥ سنة فهو يقول عن نفسه (وها انا ابن السبعين سنة وفي خمسين سنة صليت صلوة الفي سنة) راجع ص١٩ـ٢٠ .

(٢١) ابن انجب الساعي . المصدر نفسه ص١٠٠

(٢٢) الاصطخري . المسالك والممالك مطبعة دار العلم ـ القاهرة ١٣٨١هـ ـ ١٩٦١م ص٩٠ عقد الجمان ق٢ ح١٥ ورقة ٢٤٥ ، ويقال انما سماه بالحلاج اهل الاحواز لانه كان يكاشفهم عما في ضمائرهم (ابن كثير ، البداية والنهاية والنهاية مطبعة السعادة ١٩٣٢م القاهرة ١٩٣٢/١٣٣/١١ ١٣٣/١١) .

(٢٣) Thompson, O.H: Al-Hallaj saint and Martyr in Moslem World Vol : 19-1929 P. 383.

(٢٤) العيني . عقد الجمان ق٢ ح١٥ ورقة ٢٤٢

(٢٥) الخطيب البغدادي . المصدر السابق ٢٢٤/٩ ، ابن كثير ، المصدر السابق ١٣٥/١٠

(٢٦) الشيبي . شرح ديوان الحلاج ٢٠/١

(٢٧) ماسنيون . شخصيات قلقه في الاسلام ص ٦٥

(٢٨) ابن انجب الساعي . المصدر السابق ص٣٩ .

(٢٩) التنوخي . نشوار المحاضرة ٢٩٠/٢

(٣٠) ابن الاثير . الكام ل ١٦٨/٦ ، ابن خلكان ، وفيات الاعيان ١٤١/٢ ، ابن انجب الساعي ، المصدر السابق ص٤٣ ، ١٠٤ ، ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ص١٥٦ .

متحرر الحيطة في افعاله واقواله مما اثار الصوفية الذين كانوا يتوقون كثيرا من اطلاع النـــاس على اسرارهم الثقافية والتطبيقية خشية وقوعهم تحت طائلة الفقهاء من ناحية ، وضغط ومراقبة الدولة التي كانت تعاني من الزنج من ناحية اخرى(٣١) ويكون بسلوكه هذا قد حطم (باب الحجرة الالهية) التي أعتاد المتصوفة التقليديين اغلاقا عليهم(٣٢) مما حدا بهم الى اتهامه بكونه وقف بصوفيته في منتصف الطريق ونبذ الخرقة(٣٣) لينقلب سياسيا يبرمج افكاره الصوفية في قيام دولة مثالية تجسد مبادىء الاسلام . لهذا ثارت ثائرة الصوفية عليه فوصموه (برجل المطامع)(٣٤) بعد ان وجدوا في منحاه تحد لهم ونسبوا اقواله وافعاله الى ضروب من السحر والشعبذة والنيرنج(٣٥) ومنهم الجنيد ابن محمد . وعمرو بن عثمان المكي وابو يعقوب النهرجوري وعلي بن سهل الاصبهاني ومحمد بن داود الاصبهاني حتى صديقه وحميمه ابو بكر الشبلي(٣٦) الذي عرف بموقفه المتردد منه(٣٧) وقد علل احد الكتاب المحدثين موقف الصوفية هذا تعليلا سياسيا حيث قال « لانه نزل الى الشارع واختلط بالعامة ونبذ الخرقة ومزق المرقعة . وهذا معناه التخلي عن طريق الاستسرار ومجابهة الناس وجها لوجه مستهدفا محاربة الظلم والتحكم الطبقي »(٣٨) يؤيده ذلك الشيبي بقوله « أن نفور الصوفية المعاصرين للحلاج منه ، بناء على بوحه بالاسرار الالهية . يمكن جدا ان يتأسس على فضيحته بوصفه داعية سياسيا اكثر منه صوفيا سار بولايته الى ابعد من المدى المرسوم وجاوز حد التقية الى التصريح بولايته وقربه»(٣٩) لكن كلامه مع العامة بثقافتها البسيطة لم تكن تفهم عبارات الحلاج الفلسفية حتى شعر ان عدم الفهم هذا قد اساء الى سمعته من دون قصد لانها ـ أي العامة ـ فهمت احواله ومقاصده على نحو يخالف تماما ما كان يهدف اليه من طاعة الله ومعاونة الفقراء(٤٠) واشار الى ذلك قائلا « من لم يقف على اشاراتنا لم ترشده عباراتنا » (٤١)

وقد اضطره فشله المرحلي هذا امام ضغوط الصوفية الى ان يرتحل الى خراسان شأنه شأن كثير من البصريين حيث استمر يدعو الجاليات العربية في الطالقان . ويبث دعوته في المدن ويقيم على الحدود ويرابط مع المرابطين في الثغور (٤٢) ثم عاد الى الاحواز بعد خمس سنوات ومنها الى بغداد ليقيم في كنف اسرته ، الا انه اضطر الى مغادرتها بعد فترة قصيرة بفعل استمرار خصومه الصوفية له . فرجع الى مكة ثانية مع عدد من اعوانه وتلاميذه(٤٣) ومنها عقد العزم على رحلة

---

(٣١) الشيبي . شرح ديوان الحلاج ٢١/١

(٣٢) طراد الكبيسي . مقدمة في الشعر الصوفي ـ مقالة منشورة في مجلة المورد ـ المجلد الاول العددان ١ـ٢ سنة ١٣٩١هـ ـ ١٩٧١م ـ بغداد ص١٥ .

(٣٣) راجع حسن مينوجهر . كارنامه بزركان ايران ـ تهران ١٣٤٠ش ص٨٠

(٣٤) ربما اطلقت هذه العبارة عليه قياسا على ما قاله هو على نفسه :

طلبت المستقر بكل ارض
فلم أر لي بارض مستقرا

أطعت مطامعي فاستعبدتني
ولو اني قنعت لكنت حرا

عريب . صلة الطبري . طبعة ليدن ١٨٩٧م ص١٠٧

(٣٥) ابن انجب الساعي. اخبار الحلاج ص٩٢ ، وقد دافع أحمد بن الحسين الحلاج عما نسب لابيه بهذا الصدد راجع السلمي . طبقات الصوفية ـ تحقيق شريبة ـ طبعة القاهرة ١٩٥٣م ص١٥٧ .

(٣٦) المصدر نفسه ص٣٨ ، سرور ، الحلاج شهيد التصوف الاسلامي ـ القاهرة ١٩٦١ ط الاولى ص١٠١ . ان الحلاج قد قبله قلة من المتصوفة المعاصرين له وأثنوا عليه وصححوا له حاله ومنهم ابو العباس بن عطاء وابو عبدالله محمد ابن خفيف وابو العباس بن سريج واحمد بن فاتك وابراهيم ابن احمد النهرواني وابو القاسم ابراهيم بن محمد النصر اباذي والشيخ ابراهيم بن عمران النيلي وابن الحداد المصري (راجع اخبار الحلاج لابن انجب الساعي ص١٦ ، ١٧ ، ٤٣ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٧ ، ٩٧ ، ١٠٦ ، ١١٨ ، ١١٩)

(٣٧) سرور . الحلاج شهيد التصوف الاسلامي ص١٠١ ، قال الشبلي (كنت انا والحسين بن منصور شيئا واحدا الا انه اظهر وكتمت) ابن كثير .البداية والنهاية ١٣٢/١١

(٣٨) طراد الكبيسي . المصدر السابق ص١٥ ، ماسنيون . شخصيات قلقة ص٦٧ .

(٣٩) الشيبي . الفكر الشيعي . مطابع دار التضامن ـ بغداد ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م ط.الاولى ص٧٢ .

(٤٠) راجع الاستدلالات التي ذكرها الحلاج بهذا الصدد في تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١١٩/٨ ـ ١٢٠ اما ما يتعلق بمعاونته الفقراء فراجع ابن انجب الساعي في كتابة اخبار الحلاج ص٦٤ـ٦٥

(٤١) ابن انجب الساعي . اخبار الحلاج ص٧٥

(٤٢) ماسنيون .شخصيات قلقة ص٦٧

(٤٣) ابن انجب الساعي . المصدر السابق ص٤٠

طويلة شملت بلادا بعيدة جاب خلالها خراسان ثانية ودخل بلاد ما وراء النهر وتركستان(٤٤) والهند وهي بلاد للشرك اتصل فيها باتباع ماني وبوذا ثم رحل من شاطىء نهر السند والملتان الى كشمير ومن هناك رافق القوافل الاحوازية التي كانت تحمل من تستر الى الصين الانسجة المطرزة بالذهب وتعود منها الى بغداد وهي محملة بالورق الصيني حيث رافقهم الى طورخان وهي احدى المراكز المانوية على حدود الصين وبعدها عاد الى بغداد حوالي سنة ٢٩١هـ ـ ٩٠٣م وقد أصبح له في شتى البلاد كثير من الاعوان(٤٦) وتغير عما كان عليه في الاول واقتنى العقار ببغداد وبنى دارا على الضفة اليمنى لنهر دجلة (٤٧) ودعا الناس الى نفسه تحقيقا لغاياته البعيدة(٤٨)

نشاطه السياسي

وجد الحلاج في الخلافة العباسية كدولة ونظام حجر عثرة في طريقه لتحقيق طموحه في قيام خلافة ليس بينها وبين الجمهور نفور سياسي ، يترأسها قطب له خلافة الظاهر والباطن(٤٩) وقد ارتبط بالله ويمشي على خطوة الانبياء ومنهجهم ويحقق باعماله رسالتهم في توثيق عرى الصفاء والاخوة بين شعوب الدولة ليزيل ما بينها من نفور اجتماعي وما بين الفرق من نفور ديني يتضح ذلك من كلامه لعبدالله بن طاهر الازدي(٥٠) عندما رآه يخاصم يهوديا في سوق بغداد قائلا « يا بني الاديان لها لله عز وجل ، شغل بكل دين طائفة لا اختيار فيهم بل اختيارا عليهم فمن لام احد ببطلان ما هو عليه فقد حكم انه اختار ذلك لنفسه وهذا مذهب القدرية و (القدرية مجوس هذه الامة) واعلم ان اليهودية والنصرانية والاسلام وغير ذلك من الاديان هي القاب مختلفة واسام متغايرة والمقصود منها لا يتغير ولا يختلف » (٥١) وقد اردف كلامه هذا بأبيات شعرية يستشف منها القارىء نهجه الاصلاحي والتوفيقي بين فئات المجتمع واجناسه المختلفة حيث جاء فيها :

تفكرت في الاديان جدا محققا
فالفيتها اصلا له شعب جما

فلا تطلبن للمرء دينا فانه
يصد عن الوصل الوثيق وانما

يطالبه اصل يعبر عنده
جميع المعالي والمعاني فيفهما(٥٢)

وبلا شك فقد أخاف هذا السلوك الداعي الى الاصلاح وازالة المتناقضات والفوارق المادية في المجتمع بتحقيق العدالة الاجتماعية ـ رجال الحكومة حيث اعتبروه ملامح ثورة اصلاحية كامنة في صدر الحلاج الصوفي الناقد تهدد مصالحهم المادية وتدعو الى تغيير النظام القائم . لذا قرروا اخماد انفاسها بالقضاء على رائدها . وقد عبر الوزير حامد بن العباس عن ذلك بجلاء في رسالته الى الخليفة المقتدر مستحثا اياه على تصديق قرار المحكمة باعدامه قائلا « يا أمير المؤمنين ان بقى قلب الشريعة وارتد خلق على يده ، وادى ذلك الى زوال سلطانك .. » (٥٣) كما عكس هذا التصور بعض المؤرخين في مصنفاتهم حيث كتب ابن النديم في ترجمته للحلاج قائلا « كان جاهلا مقداما متهورا جسورا على السلاطين ، مرتكبا للعظائم ، يروم اقلاب الدول »(٥٤)

وتحقيقا لهذا الغرض انقلب الحلاج سياسيا معارضا يبحث عن حلفاء وانصار متبعا في سبيل ذلك شتى الوسائل والطرق حتى اتهم من قبل مناوئيه بالاحتيال والشعبذة واتيان المخاريق(٥٥)

---

(٤٤) يرى توسن (ان الحلاج اول شخص بشر بالاسلام في بلادهم بدون سلاح)
The Moslem World. Vol. 19, 1929 P. 389.

(٤٥) حسن مينوجهر في كارنامة بزركان أيران ص ٨٠-٨١

(٤٦) العيني . عقد الجمان ق٢ ح١٥ ورقة٢٤٥

(٤٧) عريب صلة تاريخ الطبري ص١٠٢ ، الخطيب البغدادي ١١٣/٨ ،
The Moslem World. op. cit Vol. 19 1929 P. 303.

(٤٨) الخطيب البغدادي ، المصدر السابق ١١٣/٨ ، عريب صلة تاريخ الطبري ص١٠٢

(٤٩) راجع ابن انجب الساعي . اخبار الحلاج ص١٩

(٥٠) يرى الشيبي انه الابهري ت٣٣٠ /٩٤١-٩٤٢م وليس الازدي (بالاعتماد على ما ورد في طبقات الصوفية للسلمي ص٣٩١) راجع كتابه شرح ديوان الحلاج ١ ص٢٧٥

(٥١) ابن انجب الساعي . المصدر السابق ص٧٠

(٥٢) المصدر نفسه والصفحة

(٥٣) التنوخي . نشوار المحاضرة ١٦٤/١ ، الذهبي تاريخ الاسلام ص١٤ ، العيني ، عقد الجمان ق٢ ح١٥ ورقة٢٦٥

(٥٤) الفهرست ـ طبعة الاوفست ـ مكتبة المثنى ـ بغداد ص١٩٠

(٥٥) الذهبي . المصدر السابق ص١٤ ، الفهرست لابن النديم ص١٩٠

ووصف بالتلون والتنقل بين المذاهب(٥٦) . فقد بدأ أتصاله بالعلويين بغية تأسيس دولة على غرار دولة الزيدين في طبرستان التي عاش فيها مدة من الزمن ، فصار الى ابي الحسن محمد بن الحسن العلوي في الكوفة وكان ميالا للصوفية وصديقا لابي علي الخواص (ت٢٩١هـ ـ ٩٠٣م) وتم الاجتماع بينهما بحضور الخواص نفسه(٥٧) . لكن الحلاج لم يستطع اقناع العلوي الذي لم يكن مستعدا لهذه المغامرة لذلك تركه متوجها الى علوي اخر اكثر ثورية وأميل للمغامرة ، واكثر تقبلا لارائه وهو أبو عمارة محمد بن عبدالله الهاشمي الربعي(٥٨) . الذي حصل الحلاج بسهولة على موافقته للعمل باسمه(٥٩) وذكر ان ابا عمارة كان له مجلس في البصرة « يتكلم فيه على مذاهب الحلاج ويدعو اليه »(٦٠) وكان يخاطب في الاحواز « بسيدنا وهي من اعلى المنازل عندهم » (٦١) لكنه يبدو ان الحلاج فيما بعد لم يجد في أبي عمارة ضالته التي تشد عضده لتحقيق احلامه . فاتجه حينذاك الى ابي سهل بن نوبخت(٦٢) ثم قصد الحسين بن روح(٦٣) (ت ٣٢٦هـ ـ ٩٣٧م) ورحل الى قم في ايران لاستمالة ابي الحسن بن بابويه(٦٤) لكن مساعيه هذه خابت ولم يحصل على موافقتهم .

كان الحلاج صادقا في مساعيه مع هؤلاء الزعماء من رجال الدين الذين لم يستجيبوا لدعوته مما جعلوه ييأس من تاييدهم له والعمل معه(٦٥) ويتحول الى القرامطة الذين خبرهم من قبل في اطراف العراق الجنوبي والاوسط ، فاسرع للارتباط مع احد اجنحتهم باتفاق ثلاثي ضم الجنابي القرمطي والشلمغاني(٦٦) للعمل سوية وفق البرنامج الذي رسموه لقلب نظام الحكم العباسي واقامة دولة علوية فاطمية على اعقابه ـ هؤلاء الثلاثة كانت تجمع بينهم رابطة الفكر الغنوصي(٦٧) ـ والى ذلك اللقاء اشار العيني بوضوح في كتابة عقد الجمان مصححا بذلك الاخطاء التاريخية الواردة في رواية ابو المعالي امام الحرمين الذي نقل عنها ابن الجوزي وابن خلكان وموضحا الغموض الوارد في رواية

---

(٥٦) راجع عريب . صلة الطبري ص٨٨ ، ابن طباطبا ، الفخري في الاداب السلطانية ص٢٠٩ الذهبي . تاريخ الاسلام ص١٤ ، العيني عقد الجمان ق٢ ح١٥ ورقة٢٤٣

(٥٧) الشيبي الفكر الشيعي ص٦٩ ، شرح ديوان الحلاج ٢٦/١

(٥٨) كان أبو عمارة الهاشمي من ابناء التجار الموسرين من ام ربيعة (راجع التنوخي . نشوار المحاضرة ١٧٣/١ ، ١٩٧٤) .

(٥٩) المصدر نفسه ١٧٤/١

(٦٠) المصدر نفسه ١٧٣/١ .

(٦١) المصدر نفسه والصفحة ، كان ابو عمارة مصاهرا لاهل الاحواز بزواجه من بنت احد تجارهم الموسرين وتدعى (بنت جابخش) نفس المصدر ١٧٤/١ ، ويعد الشيبي هذه المصاهرة عاملا مساعدا على التقارب بين الحلاج وابو عمارة (راجع شرح ديوان الحلاج ٢٦/١ ـ ٢٧) .

(٦٢) الخطيب . تاريخ بغداد ١٢٤/٨ ، ابن الجوزي . المنتظم ٢/٦ ، ١٦٣ ، ابن النديم . الفهرست ص١٩١ ، التنوخي المحاضرة ١٦١/١ .

(٦٣) الشيبي . شرح ديوان الحلاج ٢٧/١ ، وفي ترجمته راجع الطوسي . الغيبة ـ طبعة تبريز ١٣٢٣ ش ص٢٦٢

(٦٤) الطوسي . الغيبة ص٢٦٢ ، القمي . الكنى والالقاب المطبعة الحيدرية ـ النجف ١٣٩٠هـ ١٩٧٠م ١٨٣/٢

(٦٥) راجع بهذا الصدد الخطيب البغدادي . تاريخ بغداد ١٢٤/٨ ، ابن الجوزي . المنتظم ١٦٣/٦ ، الطوسي الغيبة ص١٦٢ ، الفهرست لابن النديم ص١٩١ ، الخونساري روضات الجنات ـ طهران ١٣٠٧ ص٢٢٧ ، عباس القمي . الكنى والالقاب ١٨٧/٢ .

(٦٦) راجع ديلاسي اوليري . الفكر العربي ومكانته في التاريخ ترجمة د. تمام حسان ومراجعة د. محمد مصطفى حلمي ـ مطبعة مخيمر ـ القاهرة ١٩٦١م ص٢٠١-٣٠٢ . وقد أطلع الحلاج على اراء فلاسفة اليونان والافكار المانوية راجع الشيبي . شرح ديوان الحلاج ص١٧٢ ، كارمانه بزركان ايران ص ٨٠

Thompsom: op. Cit. in Moslem world Vol. 19 1929 p. 388.

(٦٧) ابو جعفر محمد بن علي الشلمغاني المعروف بابن ابي العذافر . ولد في قرية الشلمغان من قرى واسط واشتغل كاتبا ببغداد حيث كان موضع عناية المحسن بن الفرات فاستخلفه سنة ٣١٢ هـ بالحضرة لجماعة من العمال . ادعى الحلول والربوبية قتل بهذه التهمة بعد ان حوكم بحضرة الخليفة الراضي ٣٢٢هـ راجع مسكويه تجارب الامم ١٢٣/١ ، ابن خلكان وفيات الاعيان١٥٥/٢ ابن كثير . البداية والنهاية ١٧٩/١١ ، ابو الفداء ، المختصر في اخبار البشر ٨١/٢ وفي الفرق بين الفرق لعبد القاهر البغدادي عرف باسم ابن ابي العذافر ص١٥٩ ، اما العيني في كتابة عقد الجمان سماه (ابن القراقر) ق١٥ ح٣ ورقة ٤١٧ .

ابن كثير(٦٨) قائلا : اتفق الحلاج والجنابي ابـــي سعيد الحسن بن بهرام القرمطي (رئيس القرامطة) والشلمغاني (محمد بن علي) على افساد عقائـــد الناس واتفقوا على قلب الدولة والتعرض لافساد الناس واتفقوا على قلب الدولة والتعرض لافساد المملكة واستعطاف القلوب واستمالتها . وارتـاد كل منهم قطـرا . اما الجنابي فاكتـاف الاحساء والشلمغاني توغل في اطراف بلاد الترك ، وارتـاد الحـلاج قطر بغـداد(٦٩) .

وبما ان هذه الرواية تجسد لنا الاهـــداف السياسية للحلاج . لذا يقتضي الحال التحقق من صحتها والتوصل الى الكيفية التي نفذ فيها كـل من الثلاثة المختلفة اتجاهاتهم دوره في هذا الاتفـاق والنتائج التي جنوها من مخططهم هذا ؟

من السهل التوصل الى اثبات وجود تنسيق سياسي بين الحلاج والجنابي القرمطي من خـــلال دراسة مدى علاقة الاول بالقرامطة التي وصـــفها أوليري في كتابه الفكر العربي ومكانته في التاريـخ بأنه كان « على صلة شديدة بالقرامطة »(٧٠) التي فصل فيها الدكتور كامل الشيبي في كتابه شـرح ديوان الحلاج(٧١) . اضافة الى ان مراسلات الحلاج مع اعوانه تشير بوضوح الى تلك العلاقة التي جاء فيها « وقد آن الان اوانك للدولة الفراء ، الفاطمية الزهراء المحفوفة باهل الارض والسماء ، واذن للفئة الظاهرة مع قوة ضعفها في الخروج الى خراسان ، ليكشف الحق قناعه ، ويبسط العدل باعه »(٧٢)

كما ان تنكره بملبسه متنقلا بين البلدان(٧٣) ومخاطبته فيها من قبل اعوانه باسماء سرية والفاظ رمزية والقاب خاصة(٧٤) قد اكسبته صفة الداعي القرمطي(٧٥) خاصة وانه كان يدعو كل قوم فـي تلك البلدان حسب ما يستبله طائفة طائفـــة(٧٦) مقتفيا بذلك اسلوب العمل القرمطي الذي يخاطب الناس على قـــدر عقولهم ويمنيهم بما يريـدون وبالاسلوب الذي يؤثر فيهم ويجذبهم الى الدعوة(٧٧)

---

(٦٨) يجمل الجويني هذا اللقاء بين ثلاثة هم (الحلاج والجنابي وابن المقفع) وينقل هذا النص ابن الجوزي في كتابـه صـيد الخاطر (ضبط وتحقيق محمد الغزالي ـ مطبعة السعادة ـ مصر بلا تاريخ) نصا كما ياتي (وقد ذكـر ابو المعالي الجويني في اواخر كتاب الشامل في الاصول، قال : قد ذكرت طائفة من الثقاة المتقنين بالبحث عـن البواطن ان الحلاج والجنابي القرمطي وابن المقفع تواصوا على قلب الدول . وافساد المملكة واستعطاف القلـوب وارتاد كل منهم قطرا ، فقطن الجنابي في الاحساء وتوغل ابن المقفع في بلاد الترك وقطن الحلاج ببغداد فحكـم عليه صاحباه بالهلكة والقصور عن بلوغ الامنية لبعـد اهل بغـداد عن الانخداع وتوفر فطنتهم وصدق فراستهم. ويفنـد ابن الجوزي هذا النص مؤكدا احتمال اتفـاق الحلاج مع ابو سعيد الجنابي القرمطي لظهوره سنة٢٨٦هـ واالحلاج قتل سنة ٣٠٩هـ لان زمنيهما متقاربان لكنـه يقول : فاما ابن المقفع فكلا لان الحلاج لم يدرك ابن المقفع فان ابن المقفع امر بقتله المنصور فقتل سنة اربـع واربعين ومائة (الصحيح ١٤٢هـ) راجع في كل ذلـك ص٤٣٨ ـ ٤٣٩ ، اما ابن خلكان فاعتبر ثالثهم هـو ابن المقنع الخراساني واسمه عطاء الذي ادعى الربوبية وقتل نفسه بالسم سنة ١٦٣هـ . (وفيات الاعيان ١٤٦/٢) وبما ان كل من ابن المقفع وابن المقنع الخراساني لا يمكن اجتماعهما بالحلاج لذا صحح ابن كثير الخطأ وذكر ان الشخص الثالث في هذا اللقـاء هو ابا جعفـر محمـد بن علي ولقبـه بابن السمعاني (والصحيح الشلمغاني) راجع البداية والنهايـة ١٤٣/١١ ـ ١٤٤

(٦٩) مخطوط دار الكتب المصرية ١٥٨٤ تق٢ ح١٥ ورقة٢٥٩

(٧٠) ترجمة د. تمام حسان ومراجعة د.محمد مصطفى حلمي ـ مطبعة مخيمر بالقاهرة ١٩٦١م ص٢٠١

(٧١) ص٢٨ ـ ٣١

(٧٢) التنوخـي . نشوار المحاضرة ١٦٩/١

(٧٣) ابن انجب الساعي . اخبار الحلاج ص١٠٠ . وقد كان الحلاج يتلون في ملابسه فتارة يلبس لباس الصوفيـة ، وتارة يتجرد في ملابس رزيـة وتارة يلبس لباس الاجناد ويعاشر ابنـاء الاغنيـاء والملوك والاجنـاد وقد رآه بعض اصحابه في ثياب رثة وبيـده ركوة وعكازة وهو سائح ... (ابن كثير . البداية والنهاية ١٣٤/١١)

(٧٤) كان اهل الهند يكاتبونه بالمفيث وبلاد ماصين وتركستان بالمقيت واهل خراسان بالمميز واهل فارس بابي عبدالله الزاهد واهل خوزستان بالشيخ حلاج الاسرار وكانببغداد قوم يسمونه المصطلم واهل البصرة يقولون له المحيـر وراجع ابن كثير البداية والنهاية ١٣٣/١١

(٧٥) مسكويه . تجارب الامم ٧٧/١ ، ابن كثير ، المصـدر السابق ١٤٠/١١ الشيبي. الصلة بين التصوف والتشيع مطبعة الزهراء ـ بغداد ١٣٨٢هـ ـ ١٩٦٣م ص٣٧.
The Ency. of Islam, Vol. 3 London 1971. Al-Hallaj. by 1. Massignon. P. 102.

(٧٦) راجع التنوخي . نشوار المحاضرة ١٦١/١ ، وفي مسكويه تجارب الامم ما يـدل على انه كان يطلب من اصـحابه اتباع خطاه بهـذا الصـدد اذ جاء فيه (وكان في الكتب الموجـودة لـه عجائب من مكاتبات اصحابه النافـذين الى النواحي وبوصيته اياهم بما يدعون اليـه النـاس وبما يامرهم به من نقلهم من حال الى حال اخر ومرتبـة الى مرتبة حتى يبلغوا الغاية القصـــوى وان يخاطبوا كـل قوم على حسـب عقولهم وافهامهم وعلى قـدر استجابتهم وانقيادهم وجواباتهم لقوم كاتبوه بالفـاظ مرموزة لا يعرفها الا من كتبهـا له ومن كتبت اليـه) تجـارب الامم ٧٩/١

(٧٧) راجع ، رسائل اخـوان الصـفاء ٢١٥/٤

وعندما قبضت السلطة على الحلاج في مدينة السوس الايرانية(٧٨) وحمل الى العراق طافوا به شوارع بغداد محمولا على جمل وينادى عليه « هذا احد دعاة القرامطة فاعرفوه . ثم حبس»(٧٩) كما كان ينادي عليه بتهمة القرمطية طيلة ايام صلبه في الجانب الشرقي والغربي من بغداد التي دامت يومين في كل جانب بأمر من الوزير علي بن عيسى(٨٠) وقد يفسر البعض الابقاء على الحلاج حيا في سجن مرفه بدار الخلافة طيلة ثمانية سنين (٣٠١ ــ ٣٠٩هـ) برغبة الحكومة على اظهار نوع من التسامح مع القرامطة التي عاثت في العراق قتلا ونهبا وفي محاولة لتأليف قلوبهم وتجنب شرورهم وضمان ولائهم محافظة على الدولة العباسية من السقوط(٨١) وفي رواية ابن الجوزي ما يؤكد ذلك حيث اورد بان الوزير علي بن عيسى شاور المقتدر سنة ٣٠١هـ ــ ٩١٣م في امر القرامطة فاشار بمكاتبة ابي سعيد الحسن بن بهرام الجنابي المتغلب على هجر ، فتقدم اليه بمكاتبته فكتب كتابا طويلا يتضمن الحث على طاعة الخلفاء . ويعاتبه على ترك الطاعة ويوبخه على ما يحكي على اصحابه من اعلان الكفر ... فوصل الكتاب بعد مقتل ابي سعيد الجنابي لذا سلم الى اولاده ومن قام مقامه. فكان ردهم كونهم متهمين من غير تهمة وقتالهم للدولة في حالة الدفاع عن النفس(٨٢) .

واستجابوا لاطلاق الاسرى الذين تكلم فيهم رسول الوزير(٨٣) لذلك وعدهم الوزير في كتاب اخر بما فيه الخير(٨٤) . ولعل رد القرامطة هذا على كتاب الوزير واطلاقهم اسرى جيش الخلافة كان يقصد منه اظهار حسن النية للسلطة العباسية لتخفف عن صاحبهم الحلاج حبسه وابعاد السيف عن رقبته وتدبير وسيلة لانقاذه .

وبالفعل فقد قضى الثمان سنوات من الحبس مدللا حتى اصبح سيدا مطاعا مرهوبا عال المكانة مسموع الصوت في قصر الخليفة تحف به الاصاغر والاكابر وعلى رأسهم ام الخليفة السيدة شغب ونصر القشورى حاجب القصر(٨٥) وكان يراسل من حبسه جماعة من الكتاب ببغداد وغيرها من المدن العراقية كما سمح له بالدخول من حبسه المطل على حبس اللصوص والعيارين يعضهم ويسلخ التوبة منهم(٨٦) وتهيأ له ان يؤلف في هذه الفترة مصنفه (الطواسين) الذي لم يبق لنا الدهر غيره من مصنفاته البالغة ستة واربعين(٨٧) .

اما ارتباط الحلاج بالشلغماني فيمكن تأكيده ببعض الادلة التي قد لا تكون واضحة كالتي تؤكد لنا ارتباطه بالقرامطة ومنها ما ذكره ابن القارح في رسالته لابي العلاء قائلا عن الشلمغاني « وصورته صورة الحلاج » (٨٨) . وربما دفع هذا الكلام (الشيبي) الى اعتبار « حركة الشلمغاني مؤصلة من حركة الحلاج القريبة وصادرة عنها » (٨٩) هذا وان ابن الجوزي قد اشار ضمنا الى مثل هذا اللقاء حين قال « وكان قد اظهر ــ اي الشلمغاني ــ وحامد بن العباس في الوزارة »(٩٠) كما ان دراستنا لرواية ابن الاثير قد تعطينا دليلا على نوع من التجانس في الهدف السياسي للرجلين في حركتهما عند ذكره لحركة الشلمغاني التي أعقبت اعدام الحلاج بكونها كانت ترمي من جانبها السياسي الى القضاء

---

(٧٨) ابن النديم . الفهرست ص١٩١

(٧٩) ابن الجوزي . المنتظم ١١٥/٦ ، الذهبي . تاريخ الاسلام ص٢ ، العيني . عقد الجمان ق٢ ح١٥ ورقة١٨٥

(٨٠) عريب . صلة الطبري ص٩٦ وصلب علي بن عيسى له كان بقصد التشهير السياسي لان الوزير خاصمه خصومة سياسية من اجل نصر القشوري حاجب الخليفة وخصمه السياسي (عبدالباقي سرور . الحلاج شهيد التصوف الاسلامي ص١١٨)

(٨١) الشيبي . شرح ديوان الحلاج ٣٥/١ ، راجع ديلاسي اوليري الفكر العربي ومكانته في التاريخ ص٢٠١

(٨٢) ابن الجوزي . المنتظم ١٢١/٦

(٨٣) مسكويه . المصدر السابق ٣٤/١ ــ ٣٥ حيث يذكر نص الكتاب المرسل من علي بن عيسى الى القرمطي .

(٨٤) الطبري . تاريخ الرسل والملوك ٢٢٨٩/١٣ ، نشوار المحاضرة للتنوخي ١٦٤/١ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ١٤٠/١١ ، ويذكر ابن النديم ان الحلاج صنف كتابا لنصر سماه (الدرة) الفهرست ص١٩٣ ، ومن سياق رواية ابن الاثير يبدو ان التفاف كبار رجالات القصر حول الحلاج له مغزى سياسي يعكس لنا طبيعة الصراع بين الاجنحة المتنافسة في البلاط العباسي حيث يذكر ان ابن الفرات ونصر القشوري والوالدة ام المقتدر كانوا جبهة ثلاثية معادية لحامد بن العباس يؤيده مؤنس قائد الجيش راجع الكامل ٢٦٠/٦

(٨٦) ابن انجب الساعي . اخبار الحلاج ص١٠٢ الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ١٢٧/٨ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ١٣٨/١١

(٨٧) ابن النديم . الفهرست ص١٩٣

(٨٨) رسائل البلغاء . اختيار وتصنيف محمد كرد علي ــ مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ــ القاهرة ط٤ سنة ١٣٧٤هـ ــ ١٩٥٤م ص٢٦٣

(٨٩) الفكر الشيعي والنزعات الصوفية ص٢٠٣

(٩٠) المنتظم ٢٧١/٦

على العباسيين والطالبيين معا(٩١) أي التخلص من افراد الحكومة والمعارضة الرسمية معا . وهي بلا شك تماثل الى حد كبير اهداف الحلاج السياسية ولكن الحركة فشلت وقتل الشلمغاني واحرق بنفس التهمة التي قتل فيها الحلاج وهي الزندقة والدعوة الى الربوبية والقول بالحلول عن طريق النور الشعشعاني(٩٢) وبذلك يقول ابن كثير بصدد حديثه عن اعدام الشلمغاني « فضرب ثمانين سوطا ، ثم ضربت عنقه والحق بالحلاج »(٩٣) وهي اشارة خفية الى علاقة عمل سياسي بين الرجلين ، وفي روايته لمحاكمة عثمان الدكاكي سنة ٧٤١هـ ـ ١٣٤٠ـ١٣٤١م يجعل اسم الحلاج ملازما للشلمغاني في طبيعة محاكمتهما والتهمة الموجهة اليهما عند مقارنتهما بمحاكمة الدكاكي قائلا « ادعى عليه بعظائم من القول لم يؤثر مثلها عن الحلاج ولا أبي العذافر وقامت عليه البينه بدعوى الالهية »(٩٤)

واذا اخذنا بنظر الاعتبار ايواء الحمدانيين للشلمغاني في الموصل واختفائه عندهم نكون قد أضفنا حجة اخرى تقرب بين الشلمغاني والحلاج في العمل السياسي لاسيما ان بعض الحمدانيين قد أيدوا الحلاج في حركته ضد الخلافة ومنهم الحسين ابن حمدان أحد تلاميذ الحلاج ومريديه الذي صنف له الاخير كتاب (السياسة)(٩٥) وكان ابن حمدان قد تولى القيادة العسكرية لحركة ابن المعتز ذات المنبع الحلاجي والهادفة الى خلع المقتدر سنة ٢٩٦ هـ التي اعتبرها عبدالباقي سرور حلقة بارزة في الحملة الحلاجية على عرش الخلافة لتنتزعه لنفسها(٩٦) .

وقد نال الحسين هذا عفو المقتدر بشفاعة الوزير ابن الفرات الذي شملت كلا من الحلاج والشلمغاني ايام محنتهما . يؤكد ذلك حالة التشرد التي عاشها الشلمغاني بعد مقتل الوزير ابن الفرات ، مما اضطره الى الاختفاء عند الحمدانيين قرب جزيرة ابن عمر(٩٧) .

وقد يعزى التقاء الحلاج السياسي بالشلمغاني الى كونه اراد ان يحقق ضمان تأييد بعض الرجالات لحركته بعد ان عجز بنفسه عن كسب تأييدهم له خاصة الحسين بن روح الذي كان الشلمغاني يومذاك يحضى باحترامه ولم يختلف معه وينفصل عنه الا عام ٣١٢هـ ـ ٩٢٦م حين ادعى انه الباب الى الامام المنتظر منافسا ابن روح في منصب السفارة ، فاصدر ابن روح حينذاك وثيقة يلعنه والتبرىء منه(٩٨) مما جعل الشلمغاني يطالب ابن روح بمباهلته قائلا : « انا صاحب الرجل وقد امرت باظهار العلم وقد اظهرته باطنا وظاهرا فباهلني »(٩٩) كما طلب ايضا مباهلة اعضاء المحكمة التي انزلت به عقوبة الاعدام بحضرة الخليفة الراضي(١٠٠) وهو خط سلكه الحلاج من قبل حين تحدى قضاته الذين اصدروا عليه حكم الاعدام ودعاهم الى المباهلة وتحكيم الله في المخطىء المذنب من احد الطرفين المتنازعين(١٠١)

وعلى كل حال فان هذه الصلة بين الرجلين ان صحت فهي تخالف رواية ماسنيون حول محاكمة وقتل الحلاج ، التي تتضمن خلطا واضحا حيث جعل الشلمغاني طرفا في قضية محاكمة الحلاج فنسب اليه تحريضه لصهره حامد بن العباس على اقناع الخليفة بالتعجيل في قتله بدافع من تعصبه المذهبي(١٠٢) . غير اني اجد قتل الحلاج سنة ٣٠٩هـ ـ ٩٢٢م كان بدافع سياسي ومواجهة الازمة المالية التي اختلقها حامد بن العباس سنة ٣٠٧هـ ـ ٩٢٠م ولا ارى للتعصب المذهبي الذي

---

(٩١) راجع الكامل ٢٤٢/٦

(٩٢) عريب . صلة الطبري ص٩٠ ، ١٠١ ، ١٠٤ ، بابن الاثير الكامل ١٦٨/٦ ابن كثير ، البداية والنهاية ١٣٨/١١ ابن النديم ، الفهرست ص١٩٠

(٩٣) ابن كثير . البداية والنهاية ١٤٤/١١

(٩٥) ابن النديم الفهرست ص١٩٣ ، ويمكننا تمييز خمسة كتب تتعلق بالسياسة من بين كتب الحلاج الستة والاربعين التي ألفها والتي ذكرها صاحب الفهرست (راجع اسماءها في نفس الصفحة) .

(٩٦) راجع سرور . الحلاج شهيد التصوف الاسلامي ص١١٤ ١١٥ ، ماسنيون . شخصيات قلقة ص٧١

ويؤكد الدكتور مينوجهر اتهامه في الاشتراك بحركة ابن المعتز سنة ٢٩٦هـ وهروبه بعد فشل الحركة الى الاحواز حيث بقى مختفيا لمدة ثلاث سنين لحين القبض عليه سنة ٣٠١ هـ ونقله محمولا الى بغداد عندها اودع الحبس ... (راجع كارنامه بزركان ايران ص٨١)

G. Ahlbert : Al-Hallaj-tow Moslem saints and mystics in Moslem world: Vol. 15. 1925 P. 59.

(٩٧) ابراهيم الشبوط . اصول المهدية في الفكر الشيعي الامامي ـ خطي ص١٦٤

(٩٨) ابن الاثير . الكامل ٢٤١/٦

(٩٩) الطوسي . الغيبة ص ١٨٦

(١٠٠) ابن الجوزي . المنتظم ٢٧١/٦

(١٠١) راجع ابن النديم . الفهرست ص١٩٠

(١٠٢) شخصيات قلقة ص٧٩

اشار اليه ماسنيون اثرا(١٠٢) . كما ان ما نسب اليه من تهم الزندقة والحلول كانت بقصد طمس الحقيقة الاساسية في قتله لا سيما وان معظم القرائن تشير الى ايمان الحلاج المطلق بالله ورسالة الاسلام(١٠٤) وما موقف رئيس الحجاب نصر القشوري المدافع عنه الا لانه كان مطمئنا الى عمق ايمان الرجل بالله وشدة تمسكه بالقرآن والسنة(١٠٥) أما القشيري فقد زكاه في اول رسالته وذكر عقيدته مع عقائد اهل السنة(١٠٦) ، كما اعلن هو نفسه عن عقيدته بجلاء بعد اعلان قرار الحكم عليه بالاعدام حيث صرخ في المجلس قائلا « ظهري حمى ودمي حرام وما يحل لكم ان تتأولوا علي بما يبيحه اعتقادي الاسلام ومذهبي السنة ولي كتب في السنة موجودة في الوراقين . فالله الله في دمي »(١٠٧) وبذلك يقول الدكتور محمد جلال شرف « فقد ترك لنا الحلاج اقوالا وعبارات تجعلنا ننسبه الى هذه الطائفة التي تمثل التصوف السني الحقيقي النابع من القرآن والسنة »(١٠٨)

الخلاصة :

وخلاصة القول ان تنفيذ حكم الاعدام في الحلاج باعتباره متمردا مثيرا للاضطرابات تبعد عنه حقيقة الزندقة التي أدين بها ، لاننا نعتقد بأن سر قتله هي « تهمة القرمطية » التي الحقت به من خلال تعامله مع الجنابي وتطابق منهجه السياسي مع خط القرامطة التي كانت تقض مضجع خلفاء بني العباس ووزرائهم بومذاك فلا يبعد ان يكون الخليفة المقتدر ووزيره حامد ابن العباس الذي كان غارقا في ازمة مالية حالكة هزت منصبه سببتها اجراءاته الضريبية واحتجابه المحاصيل عن الاسواق بغية رفع الاسعار لصالحه كضامن لولايات العراق الوسطى والجنوبية(١٠٩) قد رتبا هذه المؤامرة ضد الحلاج وزورا الشهود واستحثا القضاة على قتله(١١٠) اشغالا للناس عن مشاكلهم الحقيقية او قطعا للسانه الناقد لسياسة الدولة والمحذر للخليفة من مغبة الاحداث الخطيرة والازمات الاقتصادية الناجمة عن الفساد الاداري والسياسة الخاطئة التي تنهجها الحكومة والتي تنعكس اثارها السلبية على الغالبية الفقيرة من الشعب ومطالبا بتطبيق الشريعة روحا ونصا حتى تتحقق رسالة القرآن(١١١) . لاسيما بعد ان قدرا خطر الكثرة المؤيدة له من القواد والامراء وعظماء الدولة العباسية واعلام المعتزلة وفقهاء الحنابلة وصفوة المفكرين والمصلحين ومع كل هؤلاء جمهرة كبيرة من سواد الناس وفقرائهم(١١٢) .

والا فما بالهم تركوا الصوفية الاخرين كالجنيد وابي يزيد البسطامي وذي النون المصري من غير قتل(١١٣) مع ان الحلاج لم يتكلم اكثر منهم في مجال التصوف ، فقتله اذن يعد مسألة سياسية بحتة اتخذت شكلا دينيا لعلمهم ان الدين افعل في الشعوب من السياسة .

لكن قتل الحلاج وحشد الفقهاء للعنه والوقوع فيه لم يؤد الى قتل الطموح الصوفي الحلاجي الى الزعامة عن طريق السياسة والاصلاح الاجتماعي ، ويذكر الشيبي سلسلة مطولة من الحركات الصوفية الثورية التي ظهرت بعد مقتل الحلاج حتى يربطها باحداث تاريخنا الحديث . ابتداء من حركة ابو يزيد بن مخلد بن كيداد الخارجي والاباضي الذي قتل سنة ٣٣٤هـ-٩٤٥م وانتهاء بثورة البطل عبدالقادر الجزائري ومحمد احمد المهدي بطل الحركة المهدية في السودان وعمر

---

(١٠٣) ابن الاثير . الكامل ١٦٣/٦

(١٠٤) راجع ابن انجب الساعي . اخبار الحلاج ص٤٦ ، ١٠٦

(١٠٥) ابن الجوزي . المنتظم ١٦٣/٦

(١٠٦) راجع الرسالة القشيريه في علم التصوف (لابي القاسم عبدالكريم بن هوزان) ط . القاهرة ص٤

(١٠٧) عريب . المصدر السابق ص٩٤ ، وراجع ابن خلكان الوفيات ١٤٣/٢ ، ابن كثير البداية والنهاية ١٤١/١١

(١٠٨) الحلاج ص٣٥ القاهرة ١٩٧٠.

L. Massignon: Al-Hallaj, in Ency. of Islam : Vol. 3 London 1971 P. 102.

(١٠٩) ابن الاثير . الكامل ١٦٣/٦

(١١٠) ابن خلكان . وفيات الاعيان ١٤٣/٢ ، ماسنيون . شخصيات قلقة ص٧٩ الشيبي . شرح ديوان الحلاج ٥٤/١ ، ٥٧

(١١١) عبدالباقي سرور . الحلاج شهيد التصوف الاسلامي ص١٦٥

(١١٢) ابن انجب الساعي . اخبار الحلاج ٨ ، ٥٩ ، ٦٤ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ١٣٤/١١

(١١٣) د. محمد جلال شرف . الحلاج ص٨٧

المختار بطل الحركة الاستقلالية في ليبيا الحديثة والحاج عمر بطل الحركة الوطنية في الصومال(١١٤) وكلها سارت على هدى منهج الحلاج الثائر ورسالته السامية وارادته الصلبة(١١٥) فبعضها حققت اهدافها السياسية وبعضها الاخر فشلت وأودت بحياة زعمائها فلاقوا مصيرهم المؤلم قتلا كالحلاج وبقت افكارهم .

(١١٤) راجع الشيبي . شرح ديوان الحلاج ٨٩/١ – ٩٥ وفي الهامش ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ من شرح الديوان ذكر لاهم المؤلفات الصوفية التي الفها هؤلاء الابطال العرب المشار اليهم اعلاه

(١١٥) يقول الحلاج في كتابه الطواسين (فصل طاسين الازل والالتباس) ما نصه « وان قتلت او صلبت او قطعت يداي ورجلاي ما رجعت عن دعواي » النسخة المطبوعة بالاوفست من قبل مكتبة المثنى ببغداد عن طبعة باريس تحقيق ماسنيون ص٥١ – ٥٢ وراجع ابن انجب الساعي . اخبار الحلاج ص٢٩ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٤٤ .

Summary

Al-Hallaj Sufi Lived in Basrah Aspects from his Political Career

Dr. Mohammed S. Ruda,

University of Basrah

The paper shows how corruption in the civil administration became well-known to the whole community. The reason for that as the paper says was due to the weak position of the Caliphs and their viziers while the real authority was held in the hands of foreign military leaders. Thus the paper presents certain aspects of al-Hallaj political life which aimed at putting an end to this unusual situation of the Caliphate. He proclaimed that his purposes were headed toward establishing new Caliphate which brought harmony, stability, wealth, and safety to the various nations of the Islamic Empire.

In order to achieve his goals al-Hallaj tried to get suport from the different religio-political groups of the society. The paper concluded that the murder of al-Hallaj came as a result of his political stands and not of the religious reasons as proclaimed by certain scholars.